

مسئوليّة المعرفة

يولد الإنسان وهو لا يعرف اسمه ولا رسمه، فأبواه يطعماه ويلبساه، حتى إذا بلغ الفطام قاوم الطعام واختار وقت النمام، ليبدأ الأبوان تعليمه وتربيته، فإذا بلغ الحلم خلّف ما ألف وزاد على ما عرف، ليكون هو المسئول عن ما يصوّر إليه وينوّل.

قال الله تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۝ إِنَّ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُوكَدَانَ عَذْهُ مَسْئُولٌ لَا (36) الإسراء.

نهت الآية الكريمة الإنسان عن اتباعه ما لاعلم له به، فعليه أن يعقل ما يتبع ادراكاً لاحشاً، فهو مسئول عن العقائد المودعة في فؤاده، وعن معرفته وعلمه الذي حصله لتلك العقائد، وعن حواسه فهي أدواته لتحصيل العلم، وعن عمله بما أدرك وعرف وعلم واعتقد، فالإنسان مسئول عن ذلك كلّه ما بلغ تكليف العقل والإختيار.

وفيما يروى عن الحسين بن هارون عن أبي عبد الله في قول الله: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) قال: يسئل السمع بما يسمع والبصر بما يطرف والفؤاد بما يعقد عليه.

ولذلك فإنّ الإنسان يعني ببناء معرفته وعقائده بوعي وإدراك، ليكون أقرب إلى الحق وتكون أعماله في محل القرب من طاعة الله تعالى. وعلى العكس من ذلك لمن ظلم نفسه وجهل ربه ورأن على قلبه فلايزيده عمله إلا خسراً وبعدهاً عن مرضاته الله عز وجل.

ذكر في نهج البلاغة في خطبة لأمير المؤمنين علي ع أنه قال: "أول الدين معرفته".
وذكر في الزيارة الجامعية لأئمة أهل البيت ع: "ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله".
وذكر أيضاً في دعاء مروي عن أبي عبد الله في زمن غيبة القائم (عج) "اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفي نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفي رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفي حجتك ضللتك عن ديني".

ويتبين من الأثر فيما ذكر وروي أن هناك ملازمة بين معرفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السلام فهم الهداء إليه سبحانه، وتلك هي المعرفة الحقة لعوائد سليمة وأعمال صالحة لتزكية الإنسان نفسه والأخيرة هي الغاية لفلاح الآخرة ونعمتها.

لقد وفق الله تعالى الحر بن بزيد الرياحي يوم العاشر من محرم لاختيار مجال معرفة الله سبحانه بمعرفة الإمام الحسين عليهما السلام، فانتقل من معسكر الظلم والشقاء إلى ركب الطهر السعداء. فمعرفة الحر الرياحي لأهل البيت ع وإيمانه بما يرضي الله سبحانه قرباه للانتقال من سعيه النيران إلى نعيم الجنان، فلم تكن الفاصلة عنده إلا عزيمة نفسه وإيماءة خيله مسرعاً نحو الإمام الحسين عليهما السلام، ليجد لنفسه جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، حيث أقرب ما يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وشفاعته.

وأي قرب من رضي الله تعالى يكون أسع وصولاً من سفينته النجاة سفينته الإمام الحسين بن علي عليهم السلام؟! فسلام على الحسين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.